لستَ عندى بزمان إنما أنت زمانه[1]
كيفَ نرْجو منكَ خيراً والعلا فيك مُهانهْ
أجنونٌ ما نراه منكَ يبدو أمْ مجانهْ

وقال كذلك :

نحن والله فى زمان غشوم لو رأيناه فى المنام فزعنا
يصْبحُ الناس فيه من سوء حال حق منْ مات منهمُ أن يهنا

وهكذا سئم الشعب حاله وتمنى الموتَ ، لأن الأحرار فى ذل ومهانة ، والعلا أصبحت مُهانة ، والزمان غدا غشوماً ، كأن الناس فى حلم مفزع يصبحون على حال ويمسون على أسوأ منه فضج الشعراء بهجاء الأيام والزمان والحياة ، وبكوا الأخلاق الفاضلة ، وندبوا المثل التى كان يعيش لها العربى فى سبيل المجد والخلود . فقال المتنبى يهجو الزمان والدنيا :

لحا الله ذى الدنيا مناخاً لراكب فكل بعيد الهمّ فيها معذب

وقال كذلك :

ودهرٌ ناسُه ناسٌ صغارٌ وإن كانتْ لهمْ جثثٌ ضخامُ
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدنُ الذهب الرغامُ
أرانبُ غيرَ أنهمُ ملوكٌ مفتحةٌ عيونهمُ نيامُ

فكلّ الذين يراهم الشاعر كانوا فى نظره صغار القدر والهمم ، وإن كانوا غلاظ الأجسام ، وهو يقيم بينهم كما يقيم الذهب فى التراب ، وأما ملوكهم فهم الأرانب حقيقة ، ولكن عيونهم نيام وإن بدت مفتحة فى غالب الأحيان . وهو يرى فساد المجتمع بفساد ملوكه وحكامه :

ساداتُ كلّ أناس من نفوسهمُ وسادةُ المسلمينَ الأعبدُ القزَمُ

ولا تسل عما تناوله الشعراء من عادات الزمان وفساد الضمائر حين شكوْا

---

(١) الزمانة : العاهة .